

أثر الإعاقة السمعية على الجانب التواصل للطفل

أ. لطروش أمينة

جامعة مستغانم

ملخص البحث: تعتبر حاسة السمع من الحواس التي أنعمها الله على عباده وهي ركيزة يعتمد عليها الطفل منذ مراحل نمو الأولى في اكتساب اللغة و التواصل مع الغير وتمييز الأصوات من حوله لذلك فإن أي عطب يصيب الجهاز السمعي للطفل يحدث بالضرورة إعاقة لغوية وتواصلية وهذا ما جعلنا نبحت في تأثير الإعاقة السمعية على الجانب التواصل للطفل.

الكلمات المفتاحية: نمو؛ لغة؛ تواصل؛ صمم؛ طفل؛ إعاقة سمعية.

:Abstract

The sense of hearing is a natural gift that helps us communicate and receive/acquire our knowledge of the world throughout all stages of our lives, especially during childhood and upbringing period, a period through which the human sense of life and knowledge of it is constructed. The present paper addresses the educational problematics of children who suffer from hearing dementia, a dementia that makes the learning process of both language and knowledge quite difficult. This form of hearing impairment of children is the basis of this research paper in relation to the child's communicative acquisition and competence.

Key words: Language Acquisition, Hearing Impairment, Primary Education, Communicative Difficulty .

مقدمة:

إن أحد طرق التعلم بالنسبة إلى الطفل هو استماعه إلى كلام الغير إذ تمثل حاسة السمع الوسيط الأساسي الذي تنتقل من خلاله المعارف الحياتية إليه وبذلك يحدث التفاعل مع الذات ومع البيئة المحيطة بها، فلا أحد ينكر أهمية المحاكاة في تعليم الطفل وإكسابه الكلام وهذا الأخير لا يتحقق إلا إذا استمع الطفل إلى كلام الآخر استماعا جيدا وتفاعل معه أيضا وحدوث أي عطب سمعي من شأنه أن يوقع الطفل ويجرمه من التواصل الطبيعي بدءا من والديه وصولا إلى المحيط الذي يعيش فيه، فما هي هذه الإعاقة وماهي أسبابها وما انعكاساتها على الجانب التواصل للطفل؟

من المسلم به أن الحواس نعمة من نعم الله تعالى على عباده، فهي الوسائط التي يتواصل من خلالها الفرد مع محيطه، فالسمع والبصر والشم والذوق كلها أدوات تقود الفرد إلى المعرفة والتحصيل، ويتصدّر السمع هذه الحواس، لأنه كما يقول "ابن خلدون": "السمع أبو الملكات"، لما له من أهمية جليلة في حياة كل فرد.

والسمع في اللغة: "حسن الأذن، وهو قوة في جراحة الأذن يدرك به الصوت وقد يعبر به للدلالة على الأذن كما جاء في قوله تعالى: "خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ"، وتارة عن الفعل مثل قوله تعالى: "إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ"، ومرة أخرى يقصد به الفهم كقوله تعالى: "سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا"، بمعنى: فهمنا الأمر وأدركناه ولم نمثل إليه، كما أن حاسة السمع هي أوّل حاسة يستعملها الإنسان بعد الولادة مباشرة، وأوّل وسيلة يستقبل بها الجنين العالم الخارجي، فقد حرص النبي (صلى الله عليه وسلم) على تنشيط حاسة السمع منذ اللحظة الأولى التي يقدم فيها الطفل على هذه الدنيا، اقتداء بنبيينا محمد (صلى الله عليه وسلم) في ديننا الحنيف بإسماع المولود الأذان في أذنه اليمنى، والإقامة في أذنه اليسرى، وهذا إجراء عملي يؤكد الأداء الوظيفي للجهاز السمعي حين الولادة، وهو الأذن - الأداة التي تعمل دون انقطاع أثناء النوم واليقظة، وهذا

يبين لنا أن وظيفة السمع من الوظائف الأساسية للفرد ويعد الجهاز السمع من الأجهزة الحية في جسم الإنسان أثناء اليقظة والنوم، إذ يعتبر الجهاز السمع عند الإنسان من أدق الأجهزة التي خلقها الله تعالى وأورد ذكرها في كتابه الكريم، وهذا ما يؤكد أهمية هذه الحاسة وهذا الجهاز في استقبال الصوت وفهم وتفسير الكلام واكتسابه أيضاً، دون أن ننسى دوره الكبير في توفير التواصل بين الأفراد، وعليه لا بد لنا من معرفة مكونات هذا الجهاز لدى الإنسان:

1- مكونات الجهاز السمع عند الإنسان:

يتكون الجهاز السمع من ثلاثة أجزاء:

أ- الأذن الخارجية:

يقول "فاروق الروسان": "تمثل الأذن الخارجية الجزء الخارجي من الأذن وتتكون من صيوان الأذن وتنتهي بطبلة الأذن، ومهمة الأذن الخارجية تجميع الأصوات الخارجية ونقلها إلى الأذن الداخلية بواسطة طبلة الأذن"، وهذا يوضح لنا أن "الأذن الخارجية" تمثل الجزء الخارجي من الأذن تبدأ من صيوان الأذن يشبه الصحن مقعر وظيفته استقطاب الأصوات الخارجية وتجميعها.

ب- الأذن الوسطى:

وتمثل الأذن الوسطى الجزء الأوسط من الأذن وتتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية هي المطرقة، الركاب و السندان"، مما يعني أن مكانها مركز الأذن ومهمتها نقل المثيرات الصوتية من الأذن الخارجية إلى الأذن الداخلية.

ج- الأذن الداخلية:

"تمثل الأذن الداخلية الجزء الداخلي من الأذن وتتكون من جزئين رئيسيين هما الدهليز والقوقعة، ومهمة الدهليز والذي يشكل الجزء العلوي من الأذن الداخلية المحافظة على توازن الفرد، أما مهمة القوقعة فهي تحويل الذبذبات الصوتية القادمة من الأذن الوسطى إلى إشارات كهربائية تنقل إلى الدماغ بواسطة العصب السمع"، من خلال هذا التعريف يتضح لنا أن الجهاز السمع للإنسان هو تركيب متكامل متحد الأعضاء وظيفته استقبال الصوت وتجميعه بواسطة (الأذن الخارجية) ليتم نقل هذه الصور السمعية الملتقطة إلى (الأذن الوسطى) لترجم هذه الصور عن طريق العصب السمع في (الأذن الداخلية)، فتحول إلى دلالات ومعاني يفسرها الدماغ.

وبهذا تصبح حاسة السمع "عملية حسية عقلية" يجمع ألفاظها الجهاز السمع ويفك شفراتها الجهاز العصبي، وهي حاسة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً، لأن "حاسة السمع لدى الإنسان ترتبط بتعلم الكلام وهي الحاسة المهمة لتطور المدركات العقلية والفكرية ونموها"، وهذا ما يؤكد لنا أهمية سلامة الجهاز السمع وأثر أي عطب ولو كان صغيراً على استقطاب معارف الفرد وتطويرها مما ينعكس بالضرورة على شخصية هذا المتلقي.

2- الإعاقة السمعية: تعرف الإعاقة (le handicap) بصفة عامة أنها "حالة من الانحراف أو التأخر الملحوظ في النمو"

، وقد تمس الجسم أو العقل أو الجوانب النفسية للفرد وينتج عنها تأثيرات نفسية تعيق تطور تعليمه وتدريبه فتصبح أمام فرد من "ذوي الاحتياجات الخاصة" يقتضي التعامل معه وتعليمه، توفير فرص خاصة واستخدام أدوات وأساليب مكيفة. تأخذ الإعاقة السمعية حيزاً كبيراً من الاهتمام من طرف الباحثين في عدة ميادين، وقد ورد مفهومها في المعجم الطبي: "هي انخفاض أو انعدام السمع"، ويرجع سببها إلى إصابة في أحد أعضاء الجهاز السمع ويعزز "سعيد حسني العزة" هذا المفهوم بقوله: "هي تباين في مستويات السمع التي تتراوح بين الضعيف والبسيط، فالشديد جداً، وتصيب هذه الإعاقة الفرد خلال مراحل نموه المختلفة"، وهذا يوضح لنا أن الإعاقة السمعية تصيب الطفل والمراهق والراشد أيضاً، وهي درجات إما

ضعيفة أو بسيطة أو شديدة، وتربوياً تعتبر الإعاقة السمعية "تلك الإعاقة التي تؤثر على أداء الفرد التربوي"، وهذا ما يؤدي إلى عدم اكتساب اللغة بشكل طبيعي بسبب العجز السمعي في فهم اللغة المنطوقة وبالتالي يجد من قدرة الطفل على التواصل السمعي اللفظي.

3- العوامل المسببة للإعاقة السمعية لدى الطفل:

ترجع الإصابة بالإعاقة السمعية إلى أسباب وراثية وأخرى مكتسبة، أما الوراثة أو الجينية: فهي تلك التي تنتقل من الوالدين إلى الجنين عن طريق الوراثة، وينتج عنها "الصمم الوراثي المزدوج" يصيب الأذنين معا، ويكون في أغلب حالاته غير قابل للعلاج.

وتتمثل العوامل المكتسبة في:

- تسمم الأم الحامل.
- النريف الذي يحدث قبل الولادة.
- الأمراض التي تصيب الأم أثناء الحمل كالحصبة الألمانية.
- التهابات التي تصيب الغدة النكفية والزهري.
- تناول الأم الحامل لبعض العقاقير الطبية مما يؤثر على تكوين الجهاز السمعي عند الجنين.
- عدم وصول الأكسجين إلى مخ الجنين.

أضف إلى ذلك الأمراض الفيروسية التي تصيب الجهاز السمعي والأورام والتعرض إلى الأصوات الحادة يؤدي إلى فض غشاء الطبلة أو إدخال أدوات حادة داخل الأذن.

4- أنواع الإعاقة السمعية:

تشمل الإعاقة السمعية حسب "مجدي عزيز ابراهيم": "الصمم و الضعف السمعي".

أ- الأصم (صمم كلي): هو من يعاني من فقدان أو قصور سمعي شديد جداً، أي أنه لا يستطيع اكتساب المعلومات اللغوية عن طريق حاسة السمع باستخدام أو بدون استخدام المعينات السمعية.

ب- الضعف السمعي (صمم جزئي): فيكون فهمه للمثيرات اللغوية صعباً بسبب فقدانه الجزئي لحاسة السمع.

5- البرامج التربوية للمعاقين سمعياً:

ونقصد بها طرق تنظيم و تعليم وتربية أصحاب الإعاقة السمعية البسيطة والمتوسطة على استخدام التواصل اللفظي أو استخدام استراتيجيات التواصل اليدوي، بغية التواصل مع الآخر ومن أهمها:

أ- التدريب السمعي:

ويراد به تدريب الأفراد ذوي الإعاقة السمعية البسيطة والمتوسطة على مهارة الإستماع والتمييز بين الأصوات، أو الكلمات، أو الحروف الهجائية والاستفادة من البقايا السمعية المتوفرة لديه، ويهدف إلى استثارة وعي الطفل المعاق سمعياً للأصوات، وخلق مهارة التمييز الصوتي لديه وخاصة بين الأصوات العامة غير الدقيقة.

ب- قراءة الكلام:

تعتمد على تدريب الطفل قراءة الشفاه، حيث يتم تعليمه استخدام ملاحظاته البصرية لحركة الشفاه ومخرج الأصوات، بالاستعانة ببقايا السمع من أجل فهم الكلام الموجه إليه.

ج- الاتصال اليدوي:

تشير الطريقة اليدوية في الاتصال إلى استخدام اليدين في التعبير بدلا من النطق اللفظي وتنقسم الطريقة اليدوية إلى الإشارة الكلية وأبجدية الأصابع، وغالبا ما يصطلح على الطريقة اليدوية في الاتصال بلغة الإشارة"، وتتم هذه الأخيرة عن طريق تحريك الأذرع والأيدي في أوضاع مختلفة، بحيث تؤدي حركة اليد محل الكلمة المنطوقة وتعطينا تغيرات الوجه وحركات الجسم إشارات مرئية تحل محل التعبير الصوتي وتأخذ العيون مكان الأذن في استقبال الرسالة، تهدف إلى تنمية مهارة بعث وتلقي لغة الإشارة أو الأصابع لدى المعاق سمعياً، بغية جعله يفهم الآخر ويعبر عن الذات .

د- التواصل الكلي:

تعتبر هذه الطريقة من أكثر الطرق شيوعاً في الوقت الحاضر، وتتحد فيها الطرق السابقة معا، إذ يستعمل فيها اللفظ والإشارة على حد سواء، تهدف إلى تنمية التواصل لدى المعاق سمعياً وتحفيز بقاياه السمعية وإدراكاته أيضاً.

6- أثر الإعاقة السمعية على التواصل لدى الطفل:

أ- الأثر اللغوي:

من أضخم الآثار السلبية وأعماقها للإعاقة السمعية ما يظهر على الجانب اللغوي للطفل فعجز الطفل الأصم على استخدام اللغة المنطوقة يعيشه في حيز من العزلة، لأنه يفقد القدرة على التواصل مع غيره ولا يتمكن من التعبير عن أفكاره وأحاسيسه بصورة واضحة، وهذا ما تؤيده "إيمار بول PAULE AIMARD في قولها: "الإعاقة السمعية تؤثر على لغة الأطفال في جميع جوانب النمو اللغوي، فالطفل المعاق سمعياً سيصبح أبكماً إن لم تتوفر لديه فرص التدريب الفعالة، ويرجع ذلك إلى عدم استفادته من التغذية الرجعية السمعية، وعدم حصوله على تعزيز لغوي كاف من طرف الآخرين". وهذا ما يجعل تشخيص الصمم خطوة مهمة لبداية التكفل بالطفل، لأنه هناك علاقة وطيدة بين السمع ونمو اللغة والسمع يجسد الشق المكتسب في عملية الكلام كما يرى "صادق عبد الله أبو سليمان" في قوله: "فجهاز الطفل النطقي أسير ما اعتاد جهازه السمعي سماعه، بحاكمه ليصبح لسان حاله الذي يتعامل به الآخرون بالكلام لا يتم أخذه إلا بالسماع من الآخرين وإن اعتياده على سماع لغة ما، هو معيار نجاحه في أدائها أداء سليماً"، بمعنى أن الاكتساب السليم للكلام مقرون بحسن الاستماع إليه. فتعلم اللغة محاكاة ألسنة الآخرين، وتعود في الأداء والتربويون يهتمون بالآثار الناتجة عن الإعاقة السمعية على تعلم الكلام"، ونجد في تراثنا ما يؤكد أهمية السمع في اكتساب اللغة فنجد "ابن فارس" (ت/395هـ) يقول: "تؤخذ اللغة اعتياداً كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات"، وهذا يوضح أكثر أن تعلم الكلام رهن السمع، وأن السمع وسيلة الإنسان لامتلاكه، لذلك كان العرب قديماً يدفعون بأولادهم إلى المراضع في بيئة أعرابية حيث الفصاحة، والفراسة لينشأ الطفل، فصيح اللسان وبلغ الكلام.

فحاسة السمع هي القناة الرئيسية لعبور الكلام واكتساب تغذية سمعية سليمة، "فلغة الأطفال المعوقين سمعياً تتصف بفقرها المدقع قياساً بلغة العاديين حيث تكون لديهم ذخيرة لغوية

محدودة لها علاقة باللموسات، وعادة ما تكون جملهم قصيرة ومعقدة، علاوة على بطء الكلام واتصافه بالنبرة غير العادية، وتزداد المشكلات اللغوية بازدياد شدة الإعاقة السمعية". وهذا ما يثبت لنا نسبة الافتقار إلى عدد المفردات اللغوية وصعوبة التعبير وفهم ما يدور في محيطهم.

ب- مظاهر بطء النمو اللغوي لدى الطفل المصاب بالإعاقة السمعية:

إن التحصيل العلمي للمعاقين سمعياً عموماً منخفض بشكل ملحوظ عن تحصيل الأطفال العاديين، فغالباً ما يعاني هؤلاء الأطفال وبخاصة الصم من تأخر في التحصيل الأكاديمي وأن الأثر الأكبر للإعاقة السمعية هو ذاك المتعلق بالضعف اللغوي. بحيث يتأثر أداء الطفل المعاق سمعياً في مجال تحصيل العلوم كالقراءة والحساب نتيجة لتأخر في نموه اللغوي، بحيث لا يتمكن الطفل الأصم سماع النماذج الكلامية من قبل الكبار لكي يقلدها، بالإضافة إلى عدم تكيف طرق التدريس المتبعة مع هذه الشريحة التي تحتاج إلى عناية خاصة ناهيك عن عدم تلقي الطفل الأصم أي تعزيز لفظي من الآخرين عندما يصدر أي صوت من الأصوات.

2- الأثر الاجتماعي والنفسي:

ينشأ الطفل المعاق سمعياً في أسرة مليئة بشعور الشفقة والحماية المفرطة إلا أن هذا الشعور سرعان ما يزول عند تصادم الطفل بالعالم الخارجي (الشارع- المدرسة)، فيتعرض إلى مواقف لا توفر له العطف والأمان اللذان تعود عليهما، مما يؤكد لديه الرغبة في الانطواء والعزلة، لإحساسه بعدم المشاركة والانتماء، وسلوك عدم الثقة في الآخرين والإضرابات الانفعالية والرغبة الشديدة في إقامة علاقات اجتماعية مع من يحملون نفس الإعاقة.

فمن أهم انعكاسات الصمم على النمو الاجتماعي والنفسي للطفل هو حرمانه من التواصل الطبيعي مع محيطه الخارجي، ولذا يعرف بأنه متمركز حول ذاته وبشعوره بالقلق وعدم اطمئنانه كما تظهر لديه سلوكيات عدوانية واندفاعية وعدم التروي يحاول من خلالها التكيف والتوافق مع مجتمعه وهذا ما تؤيده "DOMINIQUE colin -" : "أن معظم الأطفال المعاقين سمعياً يتميزون بخوف وقلق شديدين، نظراً لعدم الاستجابة وإدراك المثيرات الصادرة من العالم الخارجي، وبالتالي يلجؤون إلى استعمال وسائل خاصة للتكيف مع مختلف الأوضاع الخارجية"، لأن افتقار الطفل المعوق سمعياً إلى الأداة اللغوية وعدم قدرته على التواصل الاجتماعي، قد يقوده إلى بعض المشاكل النفسية والصعوبات الاجتماعية. فالتعبير عن الأحاسيس والأفكار، والتواصل مع الآخر هو أساس عملية التفاعل الاجتماعي وبناء الشخصية، والتي تعتبر المسؤولة عن حياة اجتماعية ونفسية متوازنة.

"ويرى بعض الباحثين بخصوص دراسة شخصية المعوق سمعياً، "أن أنسب وسيلة للكشف عن دوافعه وصراعاته ومشكلاته النفسية عموماً، هي ملاحظته وهو يمارس حياته بتلقائية من خلال مختصين مدربين على مثل هذا النوع من العمل".

خاتمة

مما سبق التطرق إليه لا يمكننا إنكار تأثير الإعاقة السمعية على الجانب التواصل للطفل، بحيث يعتبر فقدان السمع حاجزاً أمام العملية التواصلية بين الطفل ومحيطه الخارجي الأمر الذي يولد لديه أفكاراً سلبية ومشاعر أليمة والشعور بالوحدة والميول إلى العزلة والانطواء، وتلقي النبذ من طرف المجتمع يصنع منه فرداً عدائياً، فالإعاقة السمعية تؤثر على شخصية الطفل وتعيق نموه السليم وتكيفه السوي وتشوه سلوكياته وتؤخر نموه اللغوي، الأمر الذي يعيق تواصله مع الآخر، لذلك نجد من الواجب أن ننادي بالالتفات إلى هذه الفئة الفتية والمتضررة من أطفالنا، فعلينا مساعدتها وتكثيف مؤسسات خاصة بها ومساعدتهم على العيش والتعايش وتقبل الذات إلى جانب وضع مناهج دراسية ووسائل تعليمية تتوافق وإعاقاتهم، وذلك بتوفير هياكل وظروف تساهم في نجاحهم المدرسي والاجتماعي بالإضافة إلى تنظيم برامج توعوية بكيفية التعامل معهم داخل أسرهم ومدارسهم ومجتمعهم أيضاً .

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
 2. احمد بن فارس الصاحي، في فقه اللغة، لمكتبة السلفية، القاهرة .
 3. إيهاب البيلالي، محمد عبد الحميد اشرف، "الإرشاد النفسي المدرسي"، دار الكتاب الحديث، الإسكندرية 2002.
 4. بدر الدين كمال عبده و السيد حلاوة محمد رعاية المعوقين سمعيا و حركيا"، المكتب
 5. الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2001.
 6. سعاد ابراهيمي، إدماج الطفل المعوق سمعيا بالمدرسة العادية وعلاقته بالتكيف المدرسي، رسالة ماجستير، إشراف د.علي تعوينات، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم النفس والتربية والارطوفونيا، جامعة الجزائر، 2003/2002.
 7. سعيد حسني العزة "المدخل إلى التربية الخاصة للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة"، ط 1 الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، 2002.
 8. سعيد حسني العزة "المدخل إلى التربية الخاصة للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة"، ط 1 الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، 2002.
 9. صادق عبدالله أبو سليمان، أهمية السمع في تحصيل اللغة، بحث في مجلة اللغة العربية، القاهرة، العدد 99، pdf.
 10. عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، http://www.alwarraq.com، فصل 45، ص 353/1.
 11. عبد الهادي نبيل وآخرون، مهارات في اللغة والتفكير، دار المسيرة، عمان، 2003 .
 12. عماد حسين عبد المرسى مفهوم الإعاقة السمعية تصنيفاتها أسبابها وخصائصها كلية التربية الأساسية قسم التربية الخاصة شبكة جامعة بابل uobabylon.edu.ip-10:25 2015/1/12
 13. فاروق الروسان، سيكولوجية الأطفال غير العادين"، ط 2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 1996 .
 14. مجدي عزيز ابراهيم، "مناهج تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة"، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 2002
 15. احمد السعيد يونس، رعاية الطفل المعوق"، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991.
- المصادر الأجنبية:
16. AIMARD (PAULE) "LE LANGAGE ET L'ENFANT", PUF, 1981, 2EME ED, SIEMPS, 1996.
 17. DOMART (ANDRE) ET BOURNEUF (JAQUES), "PETIT LAROUSSE DE LA MEDECINE", LIBRAIRIE LAROUSSE, PARIS, 1989
 18. DOMINIQUE COLIN , "PSYCHOLOGIE DE L'ENFANT SOURD", MASSON, PARIS, 1996.